Journal Of the Iraqia University 64-1(30-11) November(2023)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.iasj.net/iasj/issue/2776

لمسات المحافظة والتطور في قصيدة العصر المتأخر – دراسة تحليلية –

م.د هبة عادل مهدي كلية دجلة الجامعة الاهلية قسم اللغة العربية

أ.د عاصم عبد دواح كلية دجلة الجامعة الاهلية قسم اللغة العربية

Touches of Development and Conservation in the Poem of the Late Era, Analytic Study

Assim Abid Dawah
Hiba Adil Mahdi
Dijla University – Department of Arabic Language
Assim.Dawah@duc.edu.iq
hiba.alalawy@duc.edu.iq

DOI 10.58564/MABDAA.62.2.2023.400

الخلاصة:

يمثل هذا البحث تجوالا أدبياً في تحليل ونقد بنماذج شعرية تربتها المختارة الحقبة الأخيرة من العصر العباسي وما تلاها من زمنٍ اتكأ على أغراض المرحلة التي سبقته أما المادة المختارة فتتجاذبها أغلب الاختيارات المعروفة وبخاصة تلك التي تركت في نفوس المتلقي بصمة مشهودة، اخترنا ما أعجبنا منها عساها تكون جاذبة للنفوس بما سجلته من محسوس في الاتجاهين المحافظ والمتّطور

Abstract

This research represents a literally exploring in analysing and criticizing poetic samples from the last period of the Abbasid Caliphate and what has followed.The chosen samples were attracted by most known selections, especially those which put a clear effect on the receivers souls .I chose what I like from them, hoping that they will be attractive to souls through what they had depicted of feelings in the development and conservative sides.

المقدمة:

من المعروف بديهة عند كل دارسي الادب العربي شعرا ونثرا، ان الحقبة العباسية كانت بجدارة حقبة ذهبية في كل فيض علمي انتجه فكر علمائها وادبائها الذين اكتظت بهم بطون الكتب المترجمة لتلك المرحلة، ولا نريد ان نذهب بعيدا اذا قلنا ان الرأي السائد آنذاك على ظهر المعمورة أن من لم يزر بغداد عاصمة الخلافة العباسية لم ير شيئا من الدنيا وهو في خسران وندم، للخمسة قرون الممتدة من القرن الثاني الهجري وحتى القرن السابع منه، على الرغم من حالة الضعف والفوضى التي سادت منتصف القرن السابع الهجري.

١. لقد اصبح الخليفة المستعصم بالله اخر خلفاء بني العباس ضعيف الرأي منصرفا الى امور لا تليق بساسة الدولة، اذ سلّم امور شؤون الخلافة بيد كبير موظفيه ابن العلقمي المتوفى سنة ٦٥٦هـ الذي شجع وربما تواطأ مع التتر عند دخولهم عاصمة الخلافة العباسية وقتلهم الخليفة وتدمير بغداد سنة ٦٥٦هـ (ابن الطقطقي، ١٩٧٣م، ٣٣٨)تلك الواقعة التي احزنت المشاعر وآلمت القلوب الى يومنا هذا، ولعل في قول الشاعر مجد الدين النشابي (ت ٦٥٦ هـ) خير ما يمثل ذلك: (٢)(النشابي،١٩٨٥م،٣٠٧)

واضيعة الناس والدين الحنيف وما تلقاه من حادثات الدهر بغداد
هتك وقتل واحداث يشيب بها رأس الوليد وتعذيب واصفاد

ومهما حدث من امر فان فيض القرائح بقي ثرّاً رغم الدمار والهلاك الذي حل بارض امة العرب والمسلمين ومن هنا سنظهر ممحصين ذلك الفيض الفكري مختصرين في اجزائه بغية الدقة في الرؤيا والوصول الى الهدف محللين اهم الافكار التي حملها شاعر تلك الحقبة

١- الاتجاه المحافظ:بعد زوال سلطة العباسيين عن بغداد وتمركز الجيوش التترية الغازية على ارضها المعطاء لم يكن حال الشعر كالحاً كما تجهمت وجوه قائليه، فقد اعتلوا ساحة النظم على الرغم من المعاناة النفسية التي يعيشونها معبرين عن احاسيسهم المتعبة وما يخامر انفسهم من هموم وآهات وتجولوا في فنون الشعر المعروفة وكان القدح المعلى مترعا امام غرض المدح، اذ برز فيه النمط التقليدي بوضوح تام فكانت قصائد من انضوى تحت هذا اللواء لاتفارق البنية الشكلية للقصيدة العربية في حقبها السابقة فبدأوا مدحهم باحدى الخيارات الآتية: النسيب، الغزل، الوصف، الحكمة، الشكوى والمعاناة الى اخره من انماط كانت الديدن التركيبي للقصيدة العربية المحافظة التي تمهد للمدوح ما سوف يقدمه المادح له من تبجيل وتعظيم واطراء، لكن مهما اختلفت تلك الانماط فالملمح المادي يكاد يشم من بعيدفهذا الشاعر صفي الدين الحلي المتوفى سنة ٧٥٠ هـ يتكئ على قصيدة ابي الطيب ت٣٥٤هـ في مدح علي بن منصور الحاجب يوم قال له في اولها:(المتنبي،١٩٢٦م،١٢٢)

بابي الشموس الجانحات غواربا اللابسات من الحرير جلاببا

المنبهات قلوبنا وعقولنا وجناتهن الناهبات الناهبا

فيقتدي بها صفي الدين الحلي ويقلدها بنفس الوزن والقافية ويقول في مدح ملك مصر محمد بن قلاوون (الحلي،١٩٦٢م،٥٩)

اسبلن من فوق النهود ذوائبا وجعلن حبات القلوب ذوائبا

وجلون من صبح الوجوه اشعة غادرن فود الليل منها شائبا

وفي منتصف القصيدة تقريبا يبرز الملمح المادي فيقول للملك:

ترجى مواهبه ويرهب بطشه مثل الزمان مسالما ومحاربا

ثم يؤكد نظرته الى الدينار والدرهم قائلا:

فاذا نظرت ندى يديه ورأيه لم تلف الا صائبا أو صائبا

فكانت الصائب الاولى في عجز البيت تشير الى المطر الغزير.لقد كانت اغلب القصائد المدحية التي قيلت في هذه الحقبة مضخمة بالجانب المادي الا القليل النادر الذي جاء بمدح اناس هم اهل لذلك الثناء فكان يتسم بصدق العاطفة وهدوء بال بعض الشعراء في علماء الامة ومصلحيها (السيوطي،١٩٢٧م ،٦٠، الغزي،١٩٧٩م،٤)ومن الاغراض التي احتذت التقليد في سياقها ما قاله شعراء العصر الوسيط في رثاء احبتهم اهلا واصدقاء ومعالم وعلماء وحتى حيوانات اليفةوبما ان اكثر هذه الانواع وقعا في النفس ما يمت بصلة الى الوطن لذا سنقف على رثاء المدن وبخاصة عاصمة السلام بغداد الخير والبركة، اذ انها تمثل الوطن في مفهومها الاجتماعي فسبق ان عاثت فيها ايدي التهديم والتدمير في الفتنة التي نشبت بين الامين والمأمون في الحقبة العباسية فجرت دموع الشاعر عمرو بن عبد الملك الوراق، وابو يعقوب الخريمي، والشاعر الاعمى علي بن ابي طالب(الطبري،(ب.ت)،٢٤٥، الخريمي،١٩٧١م،٢٧)اما بعد سقوطها وتدميرها بيد التتر سنة ٦٥٦هـ فقد بكاها الكثيرون من الشعراء امثال الشاعر شمس الدين الكوفي الذي بقي يبكي عليها من سقوطها وحتى سنة ٦٧٧هـ حتى سماه الشبيبي شاعر مأساة بغداد ومما قاله فيها (الكتبي،١٩٧٣م،٢٣٤)

ان لم تقرح ادمعي اجفاني من بعد بعدكم فما اجفاني

انسان عيني مذ تناءت داركم ما راقه نظر الى انسان

الى ان يصل متذكرا احبابه الذين فقدهم اثر هذه الفاجعة فينادي الانقاض:

اين الذين عهدتهم ولعزهم ذلاً تخر معاقد التيجان

كانوا نجوم من اهتدى فعليهم يبكي الهدى وشعائر الايمان

ومن الذين شاركوه المعاناة نفسها الشاعر اسماعيل بن ابي اليسر التنوخي، وسعدي الشيرازي الذي تعد مراثيه من اطول المراثي.

٢. وهناك مراث اخرى في مدن اسلامية دمرها المغول كما دمر بغداد مثل مرثية حلب للشاعر كمال الدين عمر بن احمد بن العديم في خراب حلب سنة ٦٥٨هـ، وكذلك رثاءها من قبل حاكمها الناصر يوسف بن العزيز محمد وكذلك رثاء مدينة دمشق التي رثاها الشاعر علاء الدين الاوتاري المتوفي سنة ٧٢٤هـ (ابن العديم،١٩٦٨م، ٣٨، النويري،١٩٣٥م، ٢٢٧)كذلك رثيت المدن بالنثر، واكبر شيء وصل الينا مقامة لابن الكازوروني ت٦٩٧هـ اسمها مقامة في قواعد بغداد _ حققها الاستاذ كوركيس عواد سنة ١٩٦١، ونشرت في مجلة المورد العدد الرابع الخاص عن مدينة

بغداد سنة ١٩٧٩_وهنا لابد من التذكير بانواع اخرى من الرثاء مثل رثاء العلماء والاهل والاصدقاء وحتى الحيوان وقضايا اخرى لم يسع المجال لذكرها (الصفدي،١٩١١م ، ٢٤٨، ديوان ابي حيان الاندلسي،١٩٦٩م،١٩٢، ابن دانيال،١٩٧٩م، صفحات عدة) كذلك مما احتذا حذو التقليد في غنائيته ما هيج قريحة الشعراء من اللوعة والفراق هو غرض الغزل ففي هذه الحقبة سار فريق من الشعراء سير اقرانهم في القرن الرابع الهجري فخاطبوا المذكر لكن معالم القريض الداخلية تشير الى انه مناجاة للمؤنث فوصفوا الغلام في اعضائه كما توصف المرأة في خدها وخصرها وردفها وشعرها في مشرق العالم العربي الاسلامي ومغربه (حميد،١٩٨٨م، ١١١، زكي مبارك، (ب.ت) ١٩٧)

(فهذا عبد الله بن علي بن منجد السروجي ت ٦٩٣هـ يقول لحبيبه: (سلام،١٩٧٠م ،٣٦٥)

عندي هوى لك طال عمر زمانه لم يبق لي صبر على كتمانه

....

يامن بدا حسنه لي متلطفا فعشقته وطعمت في احسانه

كان اعتقادي ان افوز بوصله فحرمته ورزقت من هجرانه

كان الرقاد لصيد طيفك حيلتي فسلبته وفجعته بعيانه

ومن المعروف ان هذا الرجل كان خيّراً عفيفا تاليا للقران، ومن النمط نفسه في المشرق قول ابن نجا الضرير الاربلي ت٦٦٠ هـ في محبوبه:(اليونيني،١٩٤٥م،٥٠٤)

تذللت لو ان التذلل ينفع وافرطت في الشكوى لو انك تسمع

....

ومن عجب اني بحبك مولع وانت ببغضي والقطيعة مولع

نصيبك مني الحب والوصل كله ومنك نصيبي البغض والهجر اجمع

فؤادك مما بي من الشوق فارغ وقلبي ملآن من الحزن موجع

ووجدي وصبري في هواك تحالفا فوجدي مقيم واصطباري مودع

فمما تقدم يمكن القول ان المعاني والافكار التي تعامل بها هذا النمط من الشعراء تتلاحق مع الاسماع، اما تأثيرها في القلوب فيكاد يكون ضعيفا جدا لان المحبوب مفترض فليس من المعقول ان اناسا سيرتهم وسريرتهم مستوية الطباع ينحدرون ذلك الانحدار الذي يشار اليه باصبع الاتهام في المعايير الاجتماعية، ولكن مسايرة لما كان يطلب انذاك ادلوا بدلائهم، وهذا واحدهم يكشف ذلك ويقول : (ابن الوردي،١٩٧٦م،٤١٧)

والله ما المرد مرادي وان نظمت فيهم كعقود الجمان

لكن من رام نفاق الذي يقوله ينظم خرج الزمان

وهنا يجب ان لا يغيب عن البال ان التعشق بالحبيبات كان سائدا ايضا ومثاله ما قاله الشاعر فتح الله بن النحاس ت١٠٥٢هـ في حبيبته (المحبي،١٩٦٧م،٥٢٧)

طرقت طروق الطيف وهنا ميّالة الاعطاف حسنا

مصقولة الخدين مثـ ـل السيف الحاظا ومتنا

....

لو خاطبت وثنا لحـ ـن مع الجمود لها وأنا

كذلك نهج البعض من شعراء الغزل الى معارضة القصائد المشهورة وكذلك الى تخميسها كما هو الحال في معارضة قصيدة كافية الشريف الرضي وضائية الشاب الظريف التي خمسّها جلال الدين محمد بن عمر ت٩١٦هـ)كذلك هناك وقفة تقليدية لشعراء العصور المتأخرة عند غرض الوصف الذي يعد الرافد الاساس لاغراض الشعر كافة كما رآه ابن رشيق القيرواني في عمدته وقد كان لمرئيات الحياة كافة تواجدها في دواوين شعراء الحقبة ولكن مما يجلب المسرة للنفس ما تداولته السن كثير منهم في وصف مباهج الطبيعة وبخاصة اورادها وزهورها حتى ان بعضهم افرد لها بابا في ديوانه سماه – الزهريات – خلط فيه مدارك العين مع مدارك الشم فها هو مجير الدين بن تميم ت٦٨٤هـ الذي يقول في السوسن:(ابن تميم،١٩٩٩م،١٠٢)

وكأن سوسنة بدت في روضها بيضاء ضاعف نشرها وقع الندا

نوارة برد النسيم و هبّ في وقت الصباح بثوبها متجردا

وذهب في التصوير بعيدا حتى شبه وردة في الحديقة بانسان يريد تقبيل الحبيب (ابن تميم،١٩٩٩م،٧٤)

سبقت اليك من الحديقة وردة واتتك قبل اوانها تطفيلا

طمعت بلثمك اذرأتك فجمعت فمها اليك كطالب تقبيلا

كذلك وقف الشعراء في اوصافهم على كثير من مشاهد الطبيعة والمدن وانواع المآكل والمشاريب وشتى انواع الحيوانات الاليفة والمفترسةوفي وقفة اخرى متتابعة نقف عند غرض الخمرة الذي كان شائعا في حقبة العصر الوسيط حتى ان لشيوعه نرى احد اعمدة ادباء الحقبة ومؤلفيها الصاحب بهاء الدين المنشئ الاربلي المتوفى سنة ٦٩٢هـ يفرد في كتابه الموسوم – التذكرة الفخرية – بابا متفردا لهذا الغرض وما قيل فيه من عيون الشعر من حقبة ما قبل الاسلام وحتى حقبة المؤلف وقد اورد في كتابه قوله: "اني انما ابتدأت باشعار ابي نواس في الخمر لانه اكثر الناس احسانا فيها ..... ومن تأخر عن زمانه عيال عليه وتبع له" (الاربلي،١٩٨٤م،٣٠٧)ولقد شاع عند شعراء الحقبة احتساء الخمرة في احضان الطبيعة بين مباهجها الغناء وطيورها الصادحة يقدمها اليهم ساق اهيف القد ممشوق القوام فهذا ابراهيم بن يوسف المشهور بالمهتار المتوفى سنة ١٠٧١هـ يقول: (٢١) (رشيد،١٩٩٢م،٧٩)

وعاطنيها عروس دن كالنار والعسجد المذاب

من كف لمياء ان تبدت توارت الشمس بالحجاب

دعجاء بلجاء ذات حسن لكل اهل العقول سابي

على رياض مدبجات حاكت رداها يد السحاب

وعلى الرغم من هذه الكثرة في نظم الحقبة للخمرة الا ان كثيرا ممن كانوا ينظمون فيها انما كانوا ينظمونها محاكاة وتقليدا ولم يكونوا يتعاطون الخمرة فهذا صدر الدين بن الوكيل ت٧١٦هـ ينظم خمرية تداولها الرواة علما انه من كبار الفقهاء زمن المماليك قال فيها: (ضيف،١٩٩٠م،٣١٩)

ليذهبوا في ملامي اية ذهبوا في الخمر لا فضة تبقى ولا ذهب

لا تأسفن على مال تمزّقه ايدي سقاة الطلا والخرّد العرب

بقيت اخر الوقفات على اغراض الشعر التقليدي وهي الخاصة بالهجاء والقذف والسب والافحاش وجدير بنا نحن البشر تجنبه مطلقا لكن الاطلاع هنا عليه ليس مسك ختام بل لؤم لئام اذ " ليس يطلب الى الشاعر حين يهجو ان يقول حقا " (حسين،(ب،ت)،٦١٨م) وليس كما قال بالامس خلف الاحمر " ابلغ الهجاء اعفه واصدقه " (ابن رشيق،١٩٩٥م،١٧١)،فهو اسقاطات في غالبه يقوله الشاعر لغاية في نفسه يدركها المتلقي النبيه فمن المعروف ان شعر القذف والافحاش والسباب مكروه ومستقبح وقبره خير من نشره ومما نسوقه في هذا المقام ما قاله الشاعر احمد بن عبد الدائم في الملك المظفر بيبرس حين قرب اليه في مجلسه الفقيه ابن عدلان وزميله الفقيه ابن المرحّل الدمياطي(ضيف،١٩٩٠م،٣١٧م)

ولّى المظفر لما فاته الظفر وناصر الحق وافى وهو منتصر

فقل لبيبرس ان الدهر البسه اثواب عارية في طولها قصر

....

ومن يقوم ابن عدلان بنصرته وابن المرحل قل لي كيف ينتصر؟

وفي خاتمة القول فالذي مر من شعر في هذه الحقبة في شكله التقليدي لم يأت صاحبه في اغلب صوره بشيء جديد الا ما ندر فلذا كانت اغلب معانيه مكررة بانت عليها بوضوح اكثر معالم الحقبة العباسية الاولى.

٢- الاتجاه المتطور :يعد المديح النبوي اهم الاغراض الشعرية التي عمّها التطور والكثرة في هذه الحقبة اذ المعروف عن هذا الغرض ان بوادره تواجدت منذ فجر الاسلام على يد بعض الشعراء المخضرمين بخاصة واولهم في هذا حسان بن ثابت الانصاري الذي سمي شاعر الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) اما في الحقب التي تلت وفاته (صلى الله عليه وسلم) فقد ضمن الشعراء قصائدهم – بغض النظر عن ميولهم وسياساتهم متوافقة كانت ام متناحرة – بعض الابيات في مدح النبي (صلى الله عليه وسلم) بدءا من الحقبة الاموية وحتى نهاية الحقبة العباسية فقد يمدح الحزب او المذهب او الخليفة ويجعل الشاعر خيطا من خيوط بنية القصيدة معنويا يذهب الى فيض مكارم واخلاق النبي (صلى الله عليه وسلم) وذلك من اجل اثبات صواب ما ذهب اليه ولا يهمنا في ذلك نسبية هذا الصواب لكن الذي يهمنا في هذا البحث هو القصيدة التي قيلت في النبي (صلى الله عليه وسلم) تبركا وتعلقا ايمانيا وتقربا روحانيا لا لشيء سوى الاشادة ونشر الذكر بمن قاد الامة نحو الهدى والرشاد.ومن الحقبة التي

نحن بصددها نجد ان الشاعر المقتول بيد التتر سنة ٦٥٦هـ ابا زكريا يحيى بن يوسف الصرصري يعدُّ من اكثر الشعراء المجيدين في هذا المجال اذ ان مدائحه يشار اليها بالبنان ويمكن القول فيه بجدارة انه لا يوجد شاعر " اكثر من مدائح النبي صلى الله عليه وسلم اشعر منه " (الكتبي،١٩٧٣م،٢٩٨)اذ تضرع الى الله سبحانه متوسلا اليه بخاطر نبيه المصطفى ان يرد شر اولئك المتربصين ببغداد عاصمة الدولة الاسلامية حين ذلك وان يرد كيدهم الى نحورهم وان يثنيهم عن فعلهم، فالامة الاسلامية بحاجة الى عون في ما تعانيه في ايامها الاخيرة من ضعف وانكسار اذ يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم قائلا: (الكتبي،١٩٧٣م،٣٠٤)

فبمن اعزك واصطفاك فاجزل ال نعمى عليك فحوض فضلك مترع

سل جبر امتك الكسيرة انه لم يبق في قوس التجلد منزع

ويعد هذا الشاعر من الشعراء الملتزمين بمديح النبي صلى الله عليه وسلم اذ وظف جل شعره ان لم اقل كله لهذا الامركذلك الحال في مغرب الامة الاسلامية متمثلا بالشاعر شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري ت٦٩٦هـ الذي اتخذ من المديح النبوي ملاذا وتذكيرا بالحياة الاخروية الباقية، وتعد قصائده المشهورة البردة، الهمزية، اللامية من عيون قصائد المديح النبوي في المغرب العربي فمما قاله في البردة (البويصري،١٩٧٣م،٣٨٥)

ياكرم الخلق مالي من الو ذبه سواك عند حلول الحادث العمم

ولن يضيق رسول الله جاهك بي اذا الكريم تجلى باسم منتقم

فان من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم الروح والقلم

وكان جل ما يبغيه الشاعر المادح بهذا النوع من الشعر هو التقرب الى الله جلت قدرته والفوز برضاه عنه كما قال الشاعر الهائم شهاب الدين احمد بن محمد ت٨٨٧هـ (السيوطي،١٩٢٧م،٧٨)

يارب عبدك يرجو منك مغفرة فاعطه من رحيب العفو ما طلبا

ومن الاغراض الشعرية التي غلفتها سمة التطور في هذه الحقبة شعر المواصلات الودية وما اطلق عليه اسم الاخوانيات وهو نظم شعري بين إلفين قاسمه المشترك المحبة والمسامرة وديمومة الود والاخوة اذ ادلى شعراء الحقبة الوسيطة دلاءهم في بئره الزاخر فكانت مترعة قوافيهم بما يسر النفس ويشحذ الفكر في جوانب متعددة من ابياته فتجد فيه التهنئة والدعوة واللغز والاحجية والاعتذار والمزحة والطرفة... الخ من بواعث النفوس المتحابة فحين تقرأ بعضا من عتاب الشاعر المشهور ناصر الدين بن النقيب ت٦٨٠ هـ لصاحبه سراج الدين الوراق تحس بعمق الرابطة الودية بين الطرفين: (الكتبي،٣٢٨،١٩٧٣)

وياسراجا لم تزل انواره تعيد مسودَّ الليالي ابيضا

ما لي اراك قاطعا لواصل ومعرضا عن مقبل ما اعرضا

فيأتيه رد سراج الدين الوراق يفيض اخوة وعذوبة وبالوزن والقافية نفسيهما

ياسهم عتب جاء من كنانة اصبت من سواد قلبي الغرضا

لكن اسوت ما جرحته بما اعقبته من العتاب بالرضا

وقد يستلهم الاصحاب بعض مناجاتهم من فيض الطبيعة الواضح امامهم فهذا محمد بن الصلاحي ت١١٨٠ هـ يستبشر بقدوم رفيقه قاسم بن عطاء المعري ت١٢٠٤هـ عليه في يوم ممطر ويقول: (رشيد،١٩٩٢م،٩٤)

لقدومكم ضحك الغما م فعلّم العين البكا

ما ذاك الا انه لنوال كفك قد حكى

فما كان من زميله الا الرد في الحال قائلا:

افديك بالعينين يا نجل الصلاح مع الذكا

هطل الغمام كأنه لعزيز جاهل قد شكا

تلك مواضع بسيطة من فيض بحر التواصل الاخوي بين الخلان وقد يدخل بعض الشعراء اظهار عوزهم الشخصي لخلانهم ونرى في ذلك هبوطا بسمو ومقام المناجاة الاخوانية طالما احيطت بالمكسب المادي حتى ولو كان ذلك يسيراكذلك تفيأ تحت خيمة الاخوانيات شعر يتسم بنمطية من شحذ الذهن والتفكير وهو ان دل على شيء فانما يدل على المباراة الودية بين المتحابين ونموذجه يظهر من خلال الالغاز والاحاجي كما في

شعر النصير بن احمد الحمامي ت٧١٢هـ وسراج الدين الوراق، وابن الوردي، وابو عبد الله الحسبن بن شبيب الطيبي ٥٨٠هـ ومما قاله النصير بن احمد الحمامي ملغزا باسم النار:

ما اسم ثلاثي له النفع والضرر له طلعة تغني عن الشمس والقمر
وليس له وجه وليس له قفا وليس له سمع وليس له بصر

تلك هي اهم مواطن الاخوانيات التي جال في ميدانها البعض من شعراء حقبة العصر الوسيط(رشيد،١٩٩٢،٩٠-٩٨)ومن الاغراض الشعرية الاخرى التي درجت في درب التطور بعد سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ شعر الزهد والتصوف وهو من الاغراض الشعرية التي لها التصاق بالمديح النبوي الشريف فالحالين فيهما تجرد عن مبهجات الدنيا الزائلة وتمسك باهداب الاخرة الباقية فمن المعروف عن الزهد في ابسط تعريفاته هو ترك الشهوات وكل ما يشغل المرء عن ذكر الله فالجميع يعرف ان هذا الاتجاه اصبح طريقا سالكا مستقلا منذ حقبة بني العباس لمواجهة التيارات المتصاعدة من مجون واباحية وفساد وكان له اعلامه انذاك كعبد الله بن المبارك ومحمد بن كناسة ومحمود الوراق والامام الشافعي ومن النساء رابعة العدوية (٣٣)(رشيد،١٩٨٩م،٥٢-٥٤) واخرين غيرهم ومن المعروف والملاحظ على شعر الزهد في هذه الحقبة انه كان واضحا لا غموض فيه ولا تعقيد كما اراده سابقا ابو العتاهية " ان تكون الفاظه مما لا يخفى على جمهور الناس مثل شعري" (متولي،١٩٨٤م،٢٤٢) حتى ان المتلقي يشعر بالراحة اليه والاطمئنان فيه الى مغفرة الرب التي غلّفت الغالب من معاني قصائده فهو يدعو الى طلب المغفرة والتقرب الى الخالق والابتعاد والنهي عن موبقات الامور ولعل ملخص ذلك ما قاله ابو العتاهية: (ابو العتاهية،(ب.ت)،٦٢)

ما الفخر الا في التقى والزهد وطاعة تعطي جنان الخلد

تلك كانت الحال قبل سقوط بغداد بيد التتر لكن ما ان سقطت كيانات الدولة العباسية على يد تلك الجماعات الغازية حتى التاذ الناس بالخيمة الالهية الوارفة فكل السياسات اثبتت فشلها فلا سؤال لانقاذ الامة من كبوتها المؤلمة الا للخالق الواحد الاحد كما بانت في شعر محمد بن اسرائيل المتوفى سنة ٦٧٧هـ: (سلام،١٩٧٠م،٣٣٩)

ايها المعتاض بالنوم والسهر ذاهلا يسبح في بحر الفكر
سلّم الامر الى مالكه واصطبر فالصبر عقباه الظفر
ولا تكونن ايسا من فرج انما الايام تأتي بالعسر
....
فارض عن ربك في اقداره انما انت اسير للقدر

فهذا هو حال الدنيا فما البشر فيها الا عابرو سبيل فهم امانة على ارضها ولا بد من يوم تسترد فيه هذه الامانات كما قال احد الزهاد: (رشيد،١٩٨٩م،١٠٠)

كل ما فيها لعمري عن قليل سيفوت
ولقد يكفيك منها ايها الطالب قوت

ما تقدم كان حال الزهد في حقبة العصر الوسيط سهولة في الالفاظ ووضوح في المعاني وخفة في الاوزان لكن هذه المسلمة لم تكن ذاتها عند المتصوفة وان تملك قلوبهم الى جانب حب الله في بعض الاحايين حب نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم اذا اتخذ هذا النمط من النظم وسيلة المعنى الظاهر والمعنى الباطن في مدلول القصيدة الصوفية كما قال محيي الدين بن عربي في كتابه دخائر الاعلاق شرح ترجمان الاشواق: (ابن عربي،٢٠٠٦م،٢٥)

كل ما اذكر من طلل او ربوع او مغان كلما
....
أو نساء كاعبات نُهّدٍ طالعات كشموس أو دُما
....
فاصرف الخاطر عن ظاهرها واطلب الباطن حتى تعلما

فعلى الرغم من ان قصائدهم التي تهتم بالذات الالهية ومعانيها وكمال جلالها مرة او ذات بينها الصادق الامين صلوات الله عليه وسلامه مرة اخرى لكن هذه القصائد في غالبها تصطنع اسلوب الاشارة والتلويح الذي يغرق المتلقي في الاغراب والغموض والى الوان من الرموز والالغاز

التي قد تستعصي وتزيد من الامر خفاء وبخاصة حين يضمنها الشاعر بعضا من مداليل الحب العذري (حلمي،(ب،ت)،٥) فهذا الشاعر محمد بن عبد المنعم الخيمي يصور وجده بالذات الالهية ويقول: (سلام،٣٣٣،١٩٧٠)

ما ارى اهلا ان تواصلني حسبي علوا باني فيك مكتئب
لكن ينازع شوقي تارة ادبي فاطلب الوصل كما يضعف الادب
....
ويدّعي في الهوى دمعي مقاسمتي وجدتي وحزني ويجري وهو مختضب
كالطرف يزعم توحيد الحبيب ولا يزال في ليله للنجم يرتقب

ولقد سار كثيرون على هذا المنوال اضافة الى محيي الدين بن عربي ومحمد بن عبد المنعم الخيمي كعبد الله بن اسعد اليافعي ٧٦٨هـ وعفيف الدين التلمساني ٦٩٠هـ وجمال الدين محمد بن الحسين ٧١١هـ وعلي بن احمد الجويري ٩٣٧هـ (رشيد،١٩٨٩م، ١٠٣-١٠٤) وبرهان الدين بن زقاعة ٨٥٩هـ وابن الفارض ٦٣٢هـ اما الغرض الاخر الذي امتدت له يد التطور في حقبة العصر الوسيط فهو الشعر التعليمي واسمه دليل ما يرمى اليه فهو في غالب منظومه يخاطب العقل مبتعدا عن العاطفة والخيال فقد برز في الحقبة العباسية بروزا واضحا وكان بطله انذاك ابان بن عبد الحميد اللاحقي صاحب المزدوجة المشهورة التي وضح فيها ما دار من احداث في كتاب كليلة ودمنة الذي ترجمه من الادب الهندي ابن المقفع (الصولي،١٩٧٩م،٤٦) وغالب هذا النوع من الشعر ينظم مزدوجا وبنفس طويل ممثلا بالالفيات المعروفة مثل الفية ابن مالك ت٦٧٢هـ في النحو والفية جلال الدين السيوطي ت٩١١هـ المسماة بالفريدة.(رشيد،١٩٧٩م،١٠٧)وفي علم البديع بديعية امين الدين الاربلي ت ٦٧٠هـ وبديعية صفي الدين الحلي ت٧٥٠هـ اللتان اختصتا بعلم البديع الذي يعد من اشهر علوم البلاغة ومن الملاحظ على هاتين البديعيتين وغيرهما مما نظم في البديع انها ضخمت ثوابتها البديعية بشيء من مديح النبي صلى الله عليه وسلم بغية اقبال الدارسين على حفظها الذي الف خدمة للعروض والقافية ومثله في ذلك ما قاله شهاب الدين احمد بن اسماعيل الكوراني في قصيدته الشافية في علم العروض والقافية التي اولها: (السيوطي،١٩٢٧م،٤٠،ضيف،١٨٤،٩٠)

بمحمد اله الخلق ذي الطول والبر بدأت بنظمٍ طيّهُ عبق النشر
وتثبيت حمدي بالصلاة لاحمد ابي القاسم المحمود في كربة النشر

كذلك دخل هذا المضمار من القريض ما اختص بتدوين التاريخ والايام ولعل احدا لم يسبق الشاعر العباسي علي بن الجهم الذي افترع هذا النوع من النظم في مزدوجة تجاوزت ثلاثمائة بيت شعر جمعت الاحداث التاريخية منذ بدء الخليقة وحتى خلافة المستعين بالله وحين يأتي التاريخ الى النبي المصطفى يقول: (ابن الجهم،(ب،ت)،٢٤٢)

ثم ازال الظلمة الضباء وعاودت جدتها الاشياء
ودانت الشعوب والاحياء وجاء ما ليس به خفاء
اتاهم المنتجب الاواه محمد صلى عليه الله

وقد نهل شعراء العصر الوسيط من هذه البداية التي نراها موفقة لانها سطرت ديوان العرب صغيره وكبيره وقد نهج على ذلك المنوال من العصر الوسيط المؤرخ جلال الدين السيوطي فاخذ السياق نفسه حتى سنة ٩٠٣هـ مؤرخا لمجمل احداث مقرونة بالسنين ومنها ما اختص بتاريخ خير البشر اذ يقول: (السيوطي،(ب،ت)،٦٨٤)

ان الامين رسول الله مبعثه لاربعين مضت فيما رووا عمرا
وكان هجرته فيها لطيبته بعد الثلاثة اعواما تلي عشرا
ومات في عام احدى بعد عشرتها فيا مصيبة اهل الارض حين سرا

وهناك اراجيز مزدوجة نظمت في الموسيقى وعلم التوحيد الذي يختص بالفرائض وغيرها من متعلقات العبادة كالصوم والصلاة والوضوء وكذلك في علوم الحديث والمنطق والتصوف والطب والكيمياء والخط واداب السلوك ومكارم الاخلاق (رشيد،١٩٩٢م،١٠٩-١١١)ان ما قدمناه هو غيض من فيض عطاء تلك الحقبة التي الصقت بها تسمية العصور المظلمة ولا نرى في ذلك التشخيص الا ما يعاكسه من اشراق فكري نأمل ان نكون موفقين في ما قدمنا ومن الله العون والسداد.

مصادر البحث ومراجعه:

١. الصولي،ابو بكر،١٩٧٩م، اخبار الشعراء المحدثين (كتاب الاوراق)،ط٢، بيروت، دار الميسرة.
٢. متولي، د. عبد الستار،١٩٨٤م، ادب الزهد في العصر العباسي ،القاهرة.
٣. رشيد، : د. ناظم،١٩٨٩م الادب العربي في العصر العباسي ،الموصل.
٤. ضيف، شوقي، الادب في عصر الدول والامارات،١٩٩٠م، ط٢،القاهرة,
٥. سلام، محمد زغلول،١٩٧٠م، الادب في العصر المملوكي، القاهرة .
٦. رشيد، ناظم،١٩٩٢م، الادب في العصر الوسيط ، الموصل.
٧. السيوطي،جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر ،(ب.ت)،تاريخ الخلفاء،الاردن.
٨. الطبري،محمد بن جرير (ب.ت)،تاريخ الرسل والملوك،القاهرة.
٩. الاربلي، بهاء الدين المنشىء،١٩٨٤م.، التذكرة الفخرية، بغداد.
١٠. حلمي،: د. محمد مصطفى،(ب،ت) الحب الالهي في التصوف الاسلامي، القاهرة.
١١.ابن الوردي، ابو حفص عمر بن مظفر،١٩٨٦م،ديوان ابن الوردي، الكويت.
١٢.الاندلسي، ابو حيان، ١٩٩٦م،ديوان ابي حيان الاندلسي، الاندلسي.
١٣.المتنبي، ابو الطيب احمد بن الحسين،١٩٢٦م،ديوان ابي الطيب المتنبي، مصر.
١٤.ابو العتاهية، اسماعيل بن قاسم(ب.ت) ، ديوان ابي العتاهية، بيروت ، دارصادر .
١٥.البوصيري،محمد بن سعيد،١٩٧٣م، ديوان البوصيري، القاهرة، ط٣، القاهرة.
١٦.الخريمي ، ابو يعقوب اسحاق بن حسان، الديوان الخريمي، ١٩٧١م، بيروت.
١٧.الحلي، ١٩٦٢م،ديوان صفي الدين الحلي ،بيروت،دار صادر.
١٨. ابن الجهم،علي،(ب،ت)،ديوان علي بن الجهم: تح خليل مردم بك – بيروت د.ت
١٩.النشابي، مجد الدين، ١٩٨٥م ،ديوان النشابي تح عبد الله محمود طه – رسالة ماجستير – جامعة الموصل.
٢٠. ابن تميم،مجير الدين،١٩٩٩م،ديوان مجير الدين بن تميم١٩٩٩م، ط١، بيروت .
٢١.اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد،١٩٥٤م، ذيل مرآة الزمان،الهند.
٢٢. ابن عربي، محي الدين،٢٠٠٦م، سائل ابن عربي، ط٤ ، بيروت .
٢٣.ابن العديم،عمربن احمد،١٩٦٨م ،زبدة الحلب من تاريخ حلب، بيروت.
٢٤.حميد، جواد رشيد،١٩٨٨م، شعر الشكوى في القرن الرابع الهجري:– رسالة ماجستير ،بغداد.
٢٥.ابن المعتز، عبد الله،١٩٩٨م،طبقات الشعراء المحدثين، ط١ بيروت ١٩٩٨
٢٦.القيرواني،ابن رشيق،١٩٥٥م ، العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده، مصر.
٢٧.ابن الطقطقي،محمد بن علي،١٩٧٣م،الفخري في الاداب السلطانية، بيروت، دار صادر.
٢٨.الكتبي،ابن شاكر،١٩٧٣م، فوات الوفيات بيروت دار صادر.
٢٩.الغزي،نجم الدين،١٩٧٩م، الكواكب السائرة باعيان المئة العاشرة، بيروت.
٣٠.ابن دانيال،محمد الموصلي،١٩٧٧م ،المختارمن شعرابن دانيال، الموصل.
٣١.حسين، طه ،(ب،ت)، مع المتنبي، القاهرة .
٣٢.مبارك، زكي،(ب.ت)، النثر الفني في القرن الرابع الهجري،القاهرة .
٣٣.السيوطي، جلال الدين١٩٢٧م، نظم العقيان في اعيان الاعيان، نيويورك
٣٤.المحبي، محمد امين، ١٩٦٧م، نفحة الريحانة ورشحة طلا الحانة،القاهرة.
٣٥.الصفدي، خليل بن ايبك،١٩٩١م، نكت الهميان في نكت العميان،مصر.
٣٦.النويري،شهاب الدين،١٩٣٥م، نهاية الارب في فنون الادب.

1. Al-Souli, Abu Bakr, 1979 AD, News of the Modern Poets (Book of Papers), 2nd edition, Beirut, Dar Al-Maysara.
2. Metwally, Dr. Abdel Sattar, 1984 AD, Ascetic Literature in the Abbasid Era, Cairo.
3. Rashid, Dr. Nazim, 1989, Arabic Literature in the Abbasid Era, Mosul.
4. Deif, Shawqi, Literature in the Age of States and Emirates, 1990 AD, 2nd edition, Cairo,
5. Salam, Muhammad Zaghloul, 1970 AD, Literature in the Mamluk Era, Cairo.
6. Rashid, Nazim, 1992 AD, Literature in the Middle Ages, Mosul.
7. Al-Suyuti, Jalal al-Din Abd al-Rahman bin Abi Bakr, (b.d.), History of the Caliphs, Jordan.
8. Al-Tabari, Muhammad bin Jarir (b.d.), History of the Messengers and Kings, Cairo.
9. Al-Arbli, Bahaa al-Din al-Munshi, 1984 AD, Honorary Ticket, Baghdad.
10. Helmy, Dr. Muhammad Mustafa, (b, t) Divine Love in Islamic Sufism, Cairo.
11. Ibn al-Wardi, Abu Hafs Omar bin Muzaffar, 1986 AD, Diwan Ibn al-Wardi, Kuwait.
12. Al-Andalusi, Abu Hayyan, 1996 AD, Diwan of Abu Hayyan Al-Andalusi, Al-Andalusi.
13. Al-Mutanabbi, Abu Al-Tayeb Ahmed bin Al-Hussein, 1926 AD, Diwan of Abu Al-Tayeb Al-Mutanabbi, Egypt.
14. Abu Al-Atahiya, Ismail bin Qasim (b.d.), Diwan Abu Al-Atahiya, Beirut, Dar Sader.
15. Al-Busiri, Muhammad bin Saeed, 1973 AD, Diwan Al-Busiri, Cairo, 3rd edition, Cairo.
16. Al-Khuraimi, Abu Yaqoub Ishaq bin Hassan, Al-Diwan Al-Khuraimi, 1971 AD, Beirut.
17. Al-Hilli, 1962 AD, Diwan Safi Al-Din Al-Hilli, Beirut, Dar Sader.
18. Ibn al-Jahm, Ali, (b, t), Diwan of Ali ibn al-Jahm: edited by Khalil Mardam Bey - Beirut, ed.
19. Al-Nashabi, Majd al-Din, 1985 AD, Diwan al-Nashabi, edited by Abdullah Mahmoud Taha - Master's thesis - University of Mosul.
20. Ibn Tamim, Mujir al-Din, 1999 AD, Diwan Mujir al-Din Bin Tamim, 1999 AD, 1st edition, Beirut.
21. Al-Yonini, Qutb al-Din Musa bin Muhammad, 1954 AD, The Tail of the Mirror of Time, India.
22. Ibn Arabi, Muhyiddin, 2006 AD, Ibn Arabi Questioner, 4th edition, Beirut.
23. Ibn al-Adim, Amr bin Ahmed, 1968 AD, Butter of the Milk from the History of Aleppo, Beirut.
24. Hamid, Jawad Rashid, 1988 AD, Poetry of Complaint in the Fourth Century AH: – Master's thesis, Baghdad.
25. Ibn al-Mu'tazz, Abdullah, 1998 AD, Classes of Modern Poets, 1st edition, Beirut 1998.
26. Al-Qayrawani, Ibn Rashiq, 1955 AD, Al-Umda fi Al-Mahasin Al-Poetry, Literature, and Criticism, Egypt.
27. Ibn al-Taqtaki, Muhammad bin Ali, 1973 AD, Al-Fakhri fi Al-Adab Al-Sultaniya, Beirut, Dar Sader.
28. Al-Ketbi, Ibn Shaker, 1973 AD, Deaths of Death, Beirut, Dar Sader.
29. Al-Ghazi, Najm al-Din, 1979 AD, The Planets Walking in the Eyes of the Tenth Hundred, Beirut.
30. Ibn Daniel, Muhammad al-Mawsili, 1977 AD, Al-Mukhtar from the Poetry of Ibn Daniel, Mosul.
31. Hussein, Taha, (b, t), with Al-Mutanabbi, Cairo.
32. Mubarak, Zaki, (B.T.), Artistic Prose in the Fourth Century AH, Cairo.
33. Al-Suyuti, Jalal al-Din, 1927 AD, Nazm al-Uqyan fi Notable Notables, New York.
34. Al-Mohebi, Muhammad Amin, 1967 AD, Nafhat al-Rihanah and Rashtah Tala al-Hana, Cairo.
35. Al-Safadi, Khalil bin Aibak, 1991 AD, Jokes of the Hemian in the Jokes of the Blind, Egypt.
36. Al-Nuwairi, Shihab al-Din, 1935 AD, The End of the Word in the Arts of Literature